انموذج افتراضي لدراسة الشخصية العراقية

محمدحمودابراهيم
جامعة ذي قار/مركز أبحاث الاهوار

المستخلص

تتكون الدراسة التي يحاول الباحث من خلالها صياغة أنموذج افتراضي لدارسة الشخصية العراقية من ثلاثة فصول رئيسه بالاضافة الى النتائج والتوصيات .ويضم الفصل الاول الذي يحمل عنوان "الاطار العام للبحث" من مبحثين ،يشمل المبحث الاول على فقرات موضوع البحث واهدافه واهميته بالاضافة الى العوامل التي جعلت الباحث يختاره دون غيره، بينما جاء المبحث الثاني ليضم مجموعة من اهم المفاهيم والمصطلحات التي يرى الباحث ضرورة تعريف القارئ بها مثل الشخصية والشخصية القومية. وفي الفصل الثاني الذي وقع تحت عنوان "اهم الدراسات التي تناولت الشخصية العراقية" حاول الباحث ان يستعرض اهم ثلاثة دراسات في هذا المجال ، الاولى "ازدواجية الشخصية " للدكتور علي الوردي والثانية "القلق والقوقعية" للدكتور عبد الجليل الطاهر والثالثة "الاستنفار والاستفزاز"للدكتور متعب مناف.لقد كان هذا الفصل قراءة متانية وعلمية لهذه الدراسات ولاراء اصحابها في هذا المضمار .اما الفصل الثالث فقد احتوى الموضوع الذي قامت الدراسة من اجلة وهو صياغة الانموذج الذي افترضه الباحث كصيغة علمية يجب ان يعتمدها الباحثون والمهتمون في موضوع الشخصية العراقية بعد ان ثبت ان الدراسات السابقة وعلى الرغم من رصانتها العلمية وكفاءة اصحابها وقدرتهم العلمية في التشخيص والتحليل الاانها ونتيجة لظروف ذاتية وموضوعية لم تعتمد الاسس العلمية بصورة كاملة في منهجية البحث واختيار ادوات وطرق البحث المناسبة ووضع النتائج الحقيقية دون مجاملة او خوف كما انها وهذا الاهم ظلت عيناتها محصورة في مجتمع مدينة بغداد وضواحيها دون ان تعتمدعينات بحثية في مناطق متعددة من العراق ودون ان تفرق بين الفئات التي تتشكل منها التركيبة السكانية في العراق .والتي تضم سكان البوادي والارياف والاهوار والمدن ناهيك عن سكان الجبال في المنطقة الشمالية . لقد قدم الباحث دراسته هذه راجيا ان يساهم مساهمة حقيقية في وضع الاسس التي يجب ان يعتمدها الباحثون والمهتمون لاية دراسة مستقبلية لموضوع الشخصية العراقية.

الفصل الأول

المبحث الاول

الإطار العام للبحث

أولا- موضوع البحث :ينصب موضوع هذه الدراسة على اختيار النموذج الذي يجب أن يعتمده الباحثون الذين يرومون دراسة الشخصية العراقية .إذ يجب أن لا يتبادر إلى الذهن في أي حال من الأحوال أننا ندرس الشخصية العراقية هنا بل أننا نفكر فقط في اختيار النموذج الافتراضي الذي يمكن اختبار مدى صلاحيته وملاءمته قبل أن يعتمده الدارسون لهذه المسالة المهمة.

ثانيا-أهداف البحث:ترمي هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف التي نستطيع أن نوجزها بالآتي:-

١- تصميم نموذج منهجي متكامل يتلائم بكافة جوانبه مع موضوع دراسة الشخصية العراقية يمكن أن يعتمده الدارسون لهذا الموضوع.

٢- محاولة تجاوز ألا خفاقات التي رافقت الدراسات السابقة للشخصية العراقية وتحديد نقاط ضعفها ومصادر قوتها لكي نفيد منها في دراساتنا المستقبلية لهذه الشخصية.

٣- سد الطريق أمام الدراسات الوصفية العشوائية التي ربما تحاول الخوض في هذا الموضوع دون سند منهجي أو نظري الأمر الذي يؤدي إلى تعقد المشكلة باستمرار.

٤- طبع الباحث والأكاديمي العراقي بطابع التجرد المنهجي حتى في نقده لنفسه او لطائفته أو لإقليمه وزجه في الوسط العلمي الوطني الذي يجب أن يكون ولائهُ الأول للوطن وأيضا فانه يجب أن يكون مثالا لكل الشرائح الأخرى من اجل أن تقتدي به وتنزع عنها ولاءاتها الجانبية مهما تعددت أمام الولاء الكبير للوطن الواحد.

ثالثا- أهمية البحث: يعتقدالباحث أن أهمية هذه الدراسة تأتى في كونها تحاول معالجة الخلل الذي رافق والذي ربما يرافق أية دراسات تحاول سبر اغوار الشخصية العراقية التي لابد من وضع الخطط العلمية لدراستها في الوقت الحاضر خاصة وأنها تمر بمفترق طرق بعد كل الانتهاكات الخطيرة التي تعرضت لها والتي ربما صيرتها في وضع مختلف تماما لما كانت عليه قبل أكثر من ثلاثة عقود من الزمن فقط.

رابعا- هل هناك دواع حقيقية وملحة لمثل هذا البحث؟

اعتقد إن الجواب على هذا السؤال من الضروري أن يكون نعم، لعدة أسباب اهمها أن الشخصية العراقية بحاجة ماسة للدراسة في الوقت الحاضر وإنها أيضا بحاجة حقيقية للتشخيص الدقيق والابتعاد عن الأوصاف غير الموضوعية التي تختفي وراء لافتات إعلامية تحاول ستر العيوب التي تستمر في تشعبها واتساعها من اجل مسوغات أيديولوجية لم تؤد إلا إلى مزيد من الانتكاسات الخطيرة في مجمل مسيرة المجتمع العراقي . أن طرحنا للنموذج الافتراضي هذا بالاضافةالى اعتقادنا بأهميته إلا أننا نرجو من خلاله أيضا أن نثير أو نستثير أفكار جديدة نحن على ثقة من أنها متوفرة في عقول الباحثين في الشان العراقي من جميع جوانبه الاجتماعية والأنثروبولوجية والسيكولوجية والاقتصادية والثقافية من اجل تدعيم هذا النموذج واعطائه رصيد نظري ومنهجي كبير يؤهله لان يكون القاعدة العلمية التي يجب ان يعتمدها الباحث في موضوع الشخصية العراقية.

المبحث الثاني

اهم المصطلحات والمفاهيم العلمية

١. الشخصية Personality :- للشخصية مجموعة كبيرة من التعاريف التي اهتم بصياغتها العلماء والمفكرين ذوي الاهتمام في هذا المجال فقد عرفها (البورت) على أنها "التنظيم الدينامي الداخلي للنظم النفسية الفيزيقية التي تحدد السلوك والتفكير المميز للشخص .(١) بينما عرفها(كيرت ليون) على أنها "حصيلة التوازن بين السلوك والبيئة ، إذ أنها تعتمد على العوامل البيئية والوراثية في ان واحد .(٢) بينما عرفها اخرون بانها عبارة عن نظام متكامل يتكون من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية والنزوعية والادراكية التي تميز هوية الفرد عن غيره من الافراد تميزا بينا وكما تبدو للناس اثناء التعامل اليومي الذي تقتضيةالحياة الاجتماعية.(٣)

٢-الشخصية القومية national personality

وتعني السمات والملامح التي تظهر على الافراد نتيجة لعضويتهم في قومية معينة او هي ذلك النمط من الخصائص السلوكية الذي يميز ابناء قومية معينة عن ابناء القوميات الاخرى.ويكون هذا النمط على درجة واضحة من الاستقرار وفي الوقت ذاته يرتبط بالخصائص الكبرى للمرحلة التاريخية التي تمر بها الجماعة القومية وهو يستند في قيامه الى وجود حد ادنى من التشابه في عمليات التكيف الاساسية التي تتم لدى ابناء القومية الواحدة نتيجة لتوفر درجة من التشابة في احوال البيئة التي تواجه المجتمع .(٤)

٣-دراسات الشخصية the studies of personality

وهي تلك الدراسات التي يهتم بها علماء الاجتماع وعلماء النفس والانثروبولوجيا. وتتناول هذه الدراسات طرق تاثير الانسان في الثقافة والنظم ألاجتماعيه وطرق تأثره بها.(٥)

٤-الشخصية القومية والأساسية national and basic personality

عندما توصف الشخصية القومية لشعب من الشعوب فان الوصف يتضمن افكارا تتعلق بالمنظار الشامل والابداع والقيم وغير ذلك . والنمط المتعلق بالشخصيةالقومية يعني مجموعة من العلاقات الحركية المعقدة والمتداخلة التي تتشكل منها هذه الشخصية.(٦)

الفصل الثاني

نماذج الدراسات السابقة للشخصية العراقية

نالت الشخصية العراقية اهتماماً لاباس به من قبل المختصين والمفكرين في العراق، إلا إن اغلب هذه الدراسات كانت عبارة عن وصف انشائي يبتعد عن الاسس والاطر النظرية والمنهجية التي يجب اتباعها في مثل هذه الدراسات ناهيك عن عدم اعتماد الباحث للتجرد والموضوعية والدقة العلمية والنظرة الثاقبة وشمولية الرؤية . ومع ذلك فان ثلاثة دراسات قام بها علماء اجتماع عراقيين كانت جديرة بالاهتمام لانها حاولت دراسة الشخصية العراقية وفق الاطر العلمية التي اشرنا الى ضرورة اتباعها.لقد تمت هذه الدراسات في العراق مابين ستينات القرن العشرين والعقد الاول من القرن الحادي والعشرين، أي خلال فترة زمنية محصورة بالاربعين عام الأخيرة، وكان أصحابها أساتذة لعلم الاجتماع في كلية الاداب جامعة بغداد، وهذا يدل على امرين اولهما حصر الاهتمام بموضوع الشخصية العراقية بعلم الاجتماع دون المشاركة من الاختصاصات الاخرى كالانثروبولوجيا وعلم النفس والقانون ، وثانيهم أن هذه الدراسات قد جرت على حافتي نظام حكم البعث في العراق (١٩٦٨-٢٠٠٣)مما يدل على ان هذه الفترة الزمنية والتي يسميها احد أصحاب هذه الدراسات (سنوات الجمر)كانت احد المعوقات التي تقف دون قيام الباحثين بدراسة المجتمع العراقي، إلا اذا كان ذلك يتم وفق السياقات البعثية التي كانت تعتمد الشعارات البراقة مخفية تحتها الأكاذيب والزيف والغش العلمي .وسوف نحاول هنا ان نتناول هذه الدراسات كلا على حده وبايجاز علمي.

اولا- النموذج الاول "الازدواجية"

وهي فرضية علمية قدمها المرحوم د.علي الوردي في منتصف عقد الستينات من القرن العشرين مفادها ان الانسان في المجتمع العراقي يقع تحت تاثير نظامين متناقضين من القيم والمفاهيم، وهو لابد وان يتقبلهما معا لكنه يتأثر باحدهما مرةوبالاخر مرة ثانية ، الأمر الذي يؤثر في سلوكه ويجعلة متناقضا . والمشكلة تتعقد اكثرلان هذا الانسان لا يشعر بهذا التناقض بين النظامين اللذين يثقلان كاهله ولايعترف به وهكذا تتكون الشخصية المزدوجة .(٧)ولكن كيف ينمو هذين التيارين في الشخصية العراقية ولماذا؟ يعتقد الوردي ان (الجانب الواقعي)منهما يتاتى من طبيعة الحياة ذاتها حيث يتعلم الفرد مفرداتها منذ نعومة اظفاره من خلال المجتمع المحلي الذي يعيش فيه مع الاسرة والجيرة وجماعة اللعب التي تربي فيه القيم البدوية، إذ لابد أن يكون غالبا وليس مغلوب وان يكون ميالا للتحدي والمغالبه مع الاخرين لكن هذا الفرد نفسه يجب ان يتعلم ايضا الخضوع والاستسلام للقدر، وهنا يبدأ (الجانب المثالي) وفي الوقت الذي ينمو فيه الجانب الاول منذ نعومة اظفار الطفل فهو عميق الجذور في تكوين شخصية الفرد العراقي ،ينمو الجانب الثاني اثناء تلقي هذا الفرد للمواعظ الدينية والمجادلات المنطقية التي يعلمه اياها المجتمع نفسه الذي كان قد علمه من قبل على التحدي والغلبة وهكذا تنشا الازدواجية وتنمو(٨). هذا من جانب ومن جانب آخر فان القيم الاجتماعية التي يعتز بها الفرد العراقي والتي تتضمن العصبية القبلية والنخوة وحق الجيرة والزاد والملح ،تتعارض مع القيم الحديثة التي اصبح الافراد يتقبلونها ويتمثلون بها مثل الحرية الفردية والمساواة التي شاعت بين الناس في العراق منذ العقد الخامس من القرن العشرين .الامر الذي ظل يساهم وباستمرارفي تكريس حالة الازدواجية وتشعب القنوات التي تغذيها حتى اصبح الفرد العراقي يطلب من غيره ان يقوم باعمال لايستطيع ان يقوم بها هو او لايرغب بالقيام بها ، في الوقت الذي ينهى الاخرين عن القيام باعمال يقوم هو بالعمل بها.لقد اقتبس(الوردي) فرضيته من عالم الاجتماع الاسكتلندي(روبرت ماكيفر) كما يؤكد(الوردي) ذلك بنفسه، اذا يقول بانها ليست من بناة افكاره بل اقتبستها من(ماكيفر) ثم أجرى عليها التحوير والتطوير الذي تتطلبه حتى جاءت منسجمة مع واقع المجتمع العراقي (٩). بينما اعتمد على تقنيات للبحث ضمت مجموعة من الادوات منها الملاحظة المباشرة وشهود العيان للحدث الاجتماعي وبعض الايات القرانية واحاديث الرسول(ص) واقوال الائمة والاقوال والحكم الماثورة والسائدة في المجتمع العراقي بوصفها وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي بالاضافة الى المنطق الوضعي واداة المقارنة الثنائية (١٠). لقد نشا الوردي في أواخر العهد العثماني وبداية الاحتلال الانكليزي وقد شاهد كيف يتفاخر ويتشاتم الناس فيما بينهم، وما هي القيم التي يقدرونها اكثر من غيرها،وانه منذ ذلك الحين وطوال اربعين عام ظل يدرس المجتمع العراقي والشخصية العراقية (١١). ويمكن تلخيص فكرة الوردي في فرضيته هذه بالرسم الاتي :-

(جانب واقعي + جانب مثالي= افكار متناقضة ⟵ شخصية مزدوجة)

ثانيا – النموذج الثاني "القلق والقوقعية "

يمثل النموذج الثاني المرحوم د. عبد الجليل الطاهر صاحب فرضية "القلق والقوقعية"، والتي ظهرت في عام ١٩٦٩ ويؤكد صاحبها على ان للفرد العراقي مجموعة كبيرة ومتشعبة من الانتماءات التي يتوجب علية تقديم الولاءات لها . لكن بعض هذه الانتماءات عميقة وبعضها الاخر مجزأ، إلا أنة يشعر بعجزه أمام إرضاء جميع هذه الولاءات الامر الذي يؤدي الى حدوث الصراع النفسي .ان الفرد العراقي ومن خلال ولاءاتة التي تتوزع بين القبيلة، والطبقة، والطائفة، والدين، والحزب، والنقابة، والنادي، والعائلة، والمرجعية الدينية، والثقافية يشعر بالولاء العميق لها، ويتبادل العلاقات السطحية المؤقته والطارئةخارج هذه الولاءات القوقعية، التي ظلت رغم قدمها تؤثر في وجدان الفرد العراقي وتحدد دوره في الحركات السياسية والاجنماعية والثقافية فاصبح الافراد يتوزعون بين هذه الحركات بالمقدار الذي تتصل به الحركات ببناء القواقع الولائية القديمة، حتى أن خطوط حياة الفرد العراقي اليومية تتحدد بحدود تلك القواقع الولائية . إن سلم هذه الولاءات المتحرك المتبدل على الدوام صعودا او هبوطا اثر في وجدان الشخص العراقي بحيث جعلة متناقضا ومتبدلاعلى الدوام.(١٢)يعتقد الطاهر ان هذه القواقع قد بذرت بذور التحيز والتعصب فانعزل ابناء المجتمع العراقي عموديا وأفقيا، فتهشم المجتمع الى اجزاء عديدة متناقضة في اعماقها ومتهاوية في شكلها.ومن خلال سلم الولاءات صار الفرد العراقي يحاول ان يتشبث بواحده او اكثر من درجات هذه السلم والذي يصعد تارة ويهبط تارة اخرى مما ادى الى اختلاط نقاط الانتماء والتشابك والانطلاق. ونتيجة لهذا الواقع فقد ضم وجدان الشخص العراقي صورا مختلفة من الحرمان ، والتذمر ، والقلق تؤثر جميعها في السلوك والمواقف.(١٣)ويؤكد الطاهر على ان الشخصية العراقية كانت ولازالت حصيلة لذلك التفاعل التناقضي بين اعداد متنافرة من القواقع الولائية ، مما جعل هذه الشخصية ينبوعا لاينضب من الحركة، والقدرة على التعبير، والاصالة، والإبداع، والاجتهاد . لقد استطاعت هذه الشخصيةان تطبع كل الأقوام التي سكنت بلاد مابين النهرين وكل التيارات الحضارية الفلسفية والدينية واللغوية بطابعها الخاص.ويحدد الطاهراعراض القلق الذي تعاني منه الشخصية العراقية بمجموعة من الظواهر والمشكلات الاجتماعية كالثورات المسلحة، والانقلابات العسكرية، والمنازعات بين القبائل، وسقوط الوزارات بصورة متتابعة، والعزل عن المناصب، وإسقاط المواطنة ، والاعتقالات، والنفي ،والطرد، والفصل، والعزل، وإعلان الأحكام العرفية وحل البرلمانات وتعطيل الصحف(١٤) اما صفات هذه الشخصية فيلخصها الطاهر بالاندفاعات المفاجئة والعنف في معاملة الخصوم حتى انه يشبه الفرد العراقي في سلوكياته المندفعه والمتفجرة بشكل غير متوقع بنار نبات الحلفة التي تهب مرة واحدة وتنطفئ مرة واحدة.(١٥)ويعتقدا لباحث أن فكرة المرحوم الطاهر تكون وفق الرسم الآتي:-

انتماءات متحجرة ⟵ ولاءات متعددة ومتشعبة ⟵ تصدع البناء النفسي للشخصية والبناء الاجتماعي العام

وعليه فان القوقعية تؤدي الى القلق. بل ان المرحوم الطاهر يذهب بعيدا عندما يجعل القوقعية والقلق عقدة مزمنة في الشخصية العراقية فهي كانت ولازالت حصيلة ذلك التفاعل التناقضي بين اعداد متنافرة من القواقع الولائية التي لم يؤدي تفاعلها الى تكوين مركب نفسي متكامل ومترابط. بل تصل الحالةالى تساؤله هل ان القلق موروث في عظام العراقيين ولحمهم ودمهم؟ هل صنع من ذرات ترابهم ،وصخور جبالهم ،وقطرات مياههم؟ انه يعتقد ان في الارضية الخلفية لشخصية الفرد العراقي تقف اشباح تلك القواقع الولائية القديمة والمتحجرة (١٦). لقد كانت دراسة الطاهر هذه نتيجة لملاحظاته ومشاهدته لما كان يجري على مسرح الاحداث بعد عام ١٩٥٣ ، أي بعد أكمال دراسته في الولايات المتحدة وعودتة للعراق وحتى عام ١٩٦٩ العام الذي نشر فيه هذه الدراسة. لقد عوقب هو نفسه خلال هذه الفترة الوجيزة بالطرد من المهنه كاستاذ لعلم الاجتماع في جامعة بغداد، ثم أعيد ثم عزل مرة ثانية، ثم زج في السجن في شباط ١٩٦٣، بعدها اجبر على ترك العراق الى السعودية أولا، ثم إلى ليبيا التي قضى فيها اربعة اعوام قبل ان يعود للعراق مرة ثانية في عام ١٩٦٩. أخيرا فاني أجد من المفيد ان استعرض المجموعة الكبيرة من الخصائص التي يعتقد المرحوم الطاهر ان الشخصية العراقية تتميز بها وهي:-

١- انها شخصية حية.
٢- تنتقل من قوقعة الى اخرى بقفزة واحدة.
٣- تمجد ألذات وتعظمها .
٤- تعتمد كثيرا على التاريخ.
٥- الاعتزاز بالكرامة والمبالغة في ذلك .
٦- الاندفاعات المفاجئة.
٧- العقدة ضد السلطة.
٨- السلبية عن طريق التاكيد على الفردية .

٩- الحفاظ على الحدود النفسية والاجتماعية.
١٠ - المبالغة والتطرف .
١١ - عقدة البطل الشعبي.
١٢- العنف.
١٣- سلوكية مزدوجة بين العمل المكشوف والعمل السري(١٧).

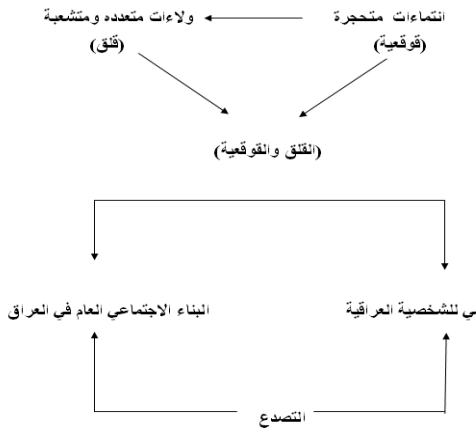

مخطط وضعه الباحث يوضح فكرة الطاهر حول الشخصية العراقية

ثالثا:- النموذج الثالث "الاستنفار والاستفزاز"

ظهر النموذج الثالث على يد الدكتور متعب مناف السامرائي ، أستاذ علم الاجتماع في كلية الاداب جامعة بغداد، في عام٢٠٠٥ وعلى صفحات مجلة النبا في ورقة عمل تحت عنوان الشخصية العراقية :متبنيات و منطلقات ،شارك فيها الباحث في الندوة التي اقامها بيت الحوار العراقي وكانت هذه الندوة تحت عنوان "الشخصية العراقية شؤون وشجون". وفي البدايه فانة يسميها الشخصية الاساس للمجتمع العراقي، على الرغم من ان بعض الانثروبولوجين يفرقون بين الشخصية القومية National character والشخصية الأساسية Basic personality. ونحن هنا ليس بصدد الدخول في تفاصيل هذة الفروق أنما تم ذكر ذلك للفائدة العلميه . لقد حاول د. متعب ان يبحث عن جذور المشكلة وان ينظر لها نظرة شمولية تمس جميع الجوانب المحيطة والتي ربما غفل عنها اخرون. فالشخصية العراقية هي جزء من محيطها العربي والاسلامي بل وحتى محيط الدول المتخلفة(تحت النمو)، وبذلك فان التاريخ والتراث يلعبان دور اساس في تكوين ثقافة هذه الشخصية التي ظلت اسيرة القوالب الفكرية القديمة. ويعرف الشخصية الأساس للمجتمع العراقي على انها "النمط السلوكي الذي يستقطب اكبر عدد من المواصفات المشتركة الى حد التمايز بين ثقافة واخرى "ويصنف د.متعب هذه المواصفات الى مواصفات ايجابية ومواصفات على الضد منها فالإهمال، والتقاطع، ومركب ألذكوره في (الرجل)، والعرف، والثقافة الشعبية، والزمن المحدود، ومركب الأبوية في (الأب)،والطائفية ، والنقل، والتدين السياسي ، والشعبي،والماضي هي من السلبيات وعلى الضد منها المواصفات الايجابية التاليةوعلى التوالي:-الاهتمام، والتعاون، والمراة، والقانون، وثقافة النخبة، والزمن المفتوح، والابنائية، والطائفة ، والعقل والدين والتركيز على الحاضر(١٨). ان الباحث صنف لنا في البداية المواصفات الايجابية والسلبيةوجعل ذلك مدخلا لفكرته حتى يمكننا من التفكير في وضع المواصفات السلبية والايجابية التي يمكن ان يستقطبها النمط السلوكي في الشخصية الاساس للمجتمع العراقي.هذا الاستقطاب الذي يجعل من هذه المواصفات المشتركة تبدو مقبولة واضحة بحيث تميز الشخصية العراقية دون غيرها .وهو يسال عن مجموع الصفات التي يمكن ان تستقطبها هذه الشخصية القاعدية سلبا او ايجابا؟ ومع هذا التساؤل يطرح بديهية ان الاستقطاب لايمكن ان يكون احاديا بل ثنائيا وهذا لايسري على الشخصية العراقية لوحدها انما يشمل كل الشخصيات القاعدية (١٩). فالشخصية العراقية وهي جزء من المجتمع الاسلامي ، والدين الإسلامي يقر بالثنائية فالنفس الانسانية قد الهمت فجورها وتقواها وقد تم تقديم الفجور على التقوىدلالة على ان السلوك القويم للانسان لاياتي متلازما معه في الولادة انما هو نتيجة حتمية للخطا الذي يقع فية الانسان اثناءتجاربة التي يخوضها في الحياة، إلا إن الفعل السلوكي قد يتداخل نتيجة لضغوط المجتمع وضوابطة وبذلك فان ردود الفعل المقبولة هي أرجح منها لو كانت معقولة (٢٠). ولكن من يجيز للمجتمع وضع ضواغطه وضوابطه التي تقسم السلوك الى معقول ومقبول ؟ من دون شك انها الثقافة السائدة فهي اكبر المرجعيات التي تحرك الاداءالانساني في اية بقعة من بقاع العالم. فالثقافة هي احد اضلاع المثلث الذي يبين العلاقة بين الثقافة والمجتمع والشخصية، بل يضعها السامرائي في قمة المثلث بينما يجعل من المجتمع وسطا بين الثقافة والشخصية وبذلك فان العلاقة التي تنتج عن ذلك هي علاقة هيمنة وليست علاقة تعاقد (٢١). لقد أعطت ثقافتنا الحق لجيل الاباء في امتلاك التصرف في المرجعيات الثقافية الحاكمة والمتحكمة، وقد صير هذا الواقع الحياتي / السلوكي جيل الابناء جيل مستنسخ سلوكيا "Behavioral copies ". وهكذا وتحت شعار حراسة الموروث القيمي مارس جيل الاباء سلوكه التسلطي بمباركة الشخصية القاعدية والثقافة التقليدية

السائدة على الاجيال الجديدة والى حد الوصايا (٢٢) الأمر الذي ساعد في نشوء ثقافة الاجترار الفكري لان جيل الاباء قد قتل ميكانزمات الإبداع عند جيل الأبناء وجعله وسطا ناقلا يعتمد على الهامش اكثر من المتن(٢٣). وهكذا نمت وترعرعت ثقافة بغيضة اخرى هي ثقافة التهميش والاستئصال التي لعبت ولازالت تلعب ادوار خطيرة في تفتيت وحدة الامة والوطن . ويؤكد السامرائي ان من اقسى نواتج الوصايا الابوية في المجتمع العراقي وجواره العربي والمسلم أن برزت شخصية الاب القوي الذي يمارس كل التقاطعات السلوكية متمتعا بالحق الذي يمنحة اياه (الفقة الذكوري /الابوي) فصار هذا الاب عفيفا في الظاهر ماجنا في الداخل. وبذلك كرست حالة التداخل في سلوك العراقي الذي صار يتوجب عليه أن يتحمل شخصيتان، الأولى خارجية (برانية)، والثانية داخلية(جوانية). لقد ارتضى الفرد العراقي بتحمله للإطارين في آن واحد، نتيجة لحالة القلق وعدم الثقة بسبب حالة الاستنفار المزمنة التي عانى منها المجتمع العراقي طيلة القرون الماضية الى ان اصبحت في الوقت الحاضر جزءا لايتجزا من حياته. أن سلوك الأب القاسي والأم الخاضعة في المجتمع العراقي ساهم في تعقيد حالة الشك الدائم، والتشكيك المستمر الذي نتج عن وانتج في الوقت ذاته حالة الاستنفار بسبب الخوف من (الغريب)، وهو بالنسبة للعائلة اي فرد اخر من غير أفرادها، وللمجتمع المحلي اي شخص لاينتمي إليه... وهكذا. لقد ساهمت هذه الظروف مجتمعه في نتاج وضع نفسي / اجتماعي مركب ومتداخل . أن للتراث والفكر المنغلق دوريهما في مد الثقافة بما يغذيها من دواعي الشك والتشكيك والاستنفار وبصورة شبه دائميه. لقد ظلت الشخصية العراقية محكومة بعقدة الخوف من الغريب ، الأمر الذي جعلها تضع خطا فاصلا هو المسافة المسموح بها بين الطريد والمطارد، هذه المسافة جعلت "الغريب" وهو ايضا قريب او ابن المدينة او القرية او المحلة او اي وسط مكاني اخر مصدرا للريبة والشك. وعليه فلابد من وجود فواصل وحواجز نفسية واجتماعية، ولابد أيضا من تكريس الية الاستنفار الى حد الاستفزاز. هذا هو الوضع الوحيد الذي يمكن من خلاله ضمان سلامة الشخصية العراقية. ومن خلال تبني ومباركة الشخصية العراقية لحالة الاندماج والتزاوج بين الاستنفار والاستفزاز ولد مولود "العنف"Violence الذي صار ياكل بالشخصية العراقية نفسها . وبدلا من تبني الحكومات العراقية في العصر الحديث لسياسات ثقافية وتربوية وتعليميةتسعالى تغيير في مفردات الثقافة العراقية، صارت هذه الحكومات تعمل على تكريس حالة الاستنفار والاستفزاز،وهذا بالمناسبة لا ينطبق على العراق فقط بل يشمل اغلب أنظمة الحكم في دنيا العرب والمسلمين والشرق .(٢٤) لقد صنعت هذه الانظمة من التداخلية السلوكية بين الاستنفار والاستفزاز صيغة اكثر حدة جمعت بين الخوف من الاخر القريب الى الخوف من الاخر البعيد في الوقت الذي احتكرت فيه التعامل مع الاخرالبعيد لنفسها! وهكذا استبدلت الدولة في العراق مثلث (ثقافة/ مجتمع/ شخصية)بعد ان البسته ثوب جديد بمثلث اخر هو (العلم والشعار والنشيد) فالعلم يترجم نمط الحكم، والشعار يمثل اللازمة الفكرية التي يجب ان يعتمدها المجتمع، بينما يقوم النشيد بدور التعبئة الفكرية في ابعد مدياتها بعد ان يحرك الشخصية، وبذلك تكون الشخصية قد انكمشت في كبسولة الدولة الى حد عسكرتها مما يفتح الطريق امام اطلاق ثقافة الاستعلاء التي تنفذ باليات التهميش والاستئصال(٢٥). ويؤكد د. السامرائي على مسالة ارتباط المجتمع العراقي بالمجتمع العربي الإسلامي، المحكوم أصلا بفقه النكاية، وهو فقه يقول انه من الممكن ان تخبر بما هو صح ولكنك يجب ان ترفض هذا الصح وتبقى على الخطأ. ولكن لماذا؟ والجواب نكاية بالاخر . فوق ذلك الشخصية العراقية شخصية اتباعية تهتم بالوسائل اكثر من اهتمامها بالغايات، وهي جزء لايتجزء من الشخصية الشرقية الاختزانية ا لمؤجلة، وليست مثل الشخصية المعجلة عند الغربيين، ويعطي السامرائي مثلا على ذلك من خلال مسالة الصبر(٢٦). إن الشخصية العراقية لا تستطيع ان تجذب خطا واحدا وانما المطلوب خطين في سبيل ايجاد الحركة (٢٧). ويقول د. السامرائي اننا يجب ان نعترف ان جزءا كبيرا من الذي يحصل في العراق في الوقت الحاضر هو نابع من الشخصية العراقية ذاتها، فالعراق فيه استعداد عال للعنف(٢٨). ويعتقد السامرائي ان المشكلة تكمن في الانقطاع الحضاري الذي حصل في العراق، إذ توجب على المجتمع العراقي تبديل دينه وحضارته مرات عديدة، ولم تكن المشكلة في البديل فقط بل كانت ايضا بمدة الانقطاع والتبدل وتاثيرها على الشخصية العراقية ، بالإضافة إلى انهيار اليقينيات القديمة مع بقاء تجذر السلطة الرعوية في المخيال الشعبي، فلازلنا نقيم وزنا لكلمة "راعي" الى ان ترسخت لدينا السلطة الرعوية، فلابد من وجود الاب القوي الممثل بالحاكم العادل المستبد. وبالتالي فأننا نشعر أن هناك هيمنة كبيرة تمنعنا من اقامة التعاقد الاجتماعي الامر الذي يرفعنا الى التسليم بالواقع الموجود (٢٩). ان ثقافتنا وهي مركب (عالي وابوي) تتغلب دائما على شخصيتنا لان التنشئة لا زالت في بلادنا فردية تنحصر في الاسرة

بينما في المجتمعات الغربية، وقد فصلت بين الثقافة والأبوة،تقوم الثقافة لديها بدور التقويم الذي يصل الى التطبيع والتنشئة. وبذلك تقوم المدرسة بعملية التنشئة (٣٠). هذا يعني أن الغربيين يتلقون تنشئة رسمية موضوعة وفق مناهج علمية مدروسة سلفا بينما تظل تنشئتنا تقليدية عبر الثقافة التقليدية المغلقة التي نتلقاها من خلال الأسرة والمجتمع المحلي المحيط. ويؤكد د. السامرائي ان مشكلتنا كعرب اننا (لقاح) هذا يعني اننا لانملك ولا نمتلك، أي لا نعرف كيف نملك ولا نقبل ان نمتلك حتى نستطيع ان نؤسس ونكون دولة ومؤسسات ونفصل السلطات، بينما تظل مشكلة الشخصية العراقية مفتوحةلاتحمل (لا) فالمجتمع العراقي مازالت تهيمن علية الثقافة السياسية (٣١). أن من اخطر ألازمات التي رافقت حركة المجتمع العراقي في السابق هو دخول سلطة بدوية على واقع حضري متقدم خاصة بعد عام ١٩٦٣ وهو دخول يختلف عن دخول الريفية في عام١٩٥٨ لان البدوية تخاف من المؤسسة فهي تسعى دائما الى ضرب المؤسسة، وإقامة البديل عنها ، لهذا علينا ايجاد حد لمنع دخول البدوية ثانية ويتوفر هذا الحد في بناء المؤسسات (٣٢).

ويمكن ان نضع المخطط التالي الذي يوضح فكرة د.متعب مناف حول الشخصية العراقية

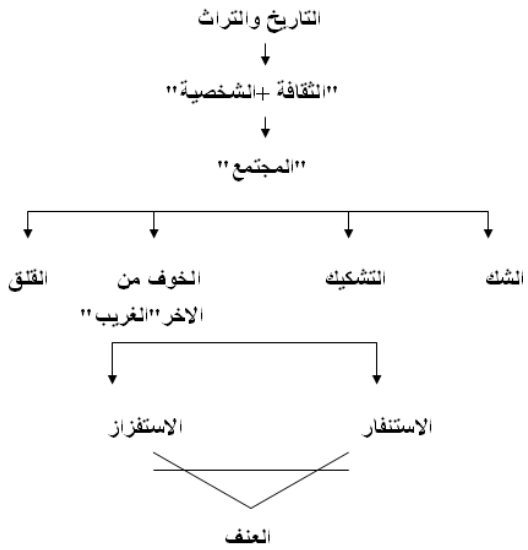

ملخص الفصل الثاني

أجمعت الدراسات الثلاثة على أن الشخصية العراقية تتصف بمواصفات محددة وواضحة يمكن ان تعتبر خصائص مشتركة للغالبية العظمى من المجتمع العراقي .لقد اشترك الباحثون الثلاثة في أن هناك محاور مزدوجة تحيط بالشخصية العراقية، فهي عند الوردي تيارين من الافكار المتناقضة يتبناها الفرد العراقي وتؤدي به الى (ازدواج الشخصية) وعند الطاهر ولاءات متعددة تقود إلى انتماءات متشعبة تؤدي بالفرد العراقي الى معاناته من(القلق والقوقعية). أما د.متعب فقد أكد على أن الثقافة والتراث رسخت عند العراقي حالتي (الاستنفار والاستفزاز). ويشترك الثلاثه ايضا على ازدواجية السلوك (الباطن والظاهر)او (المخفي والمعلن) او (الجواني والبراني) وبالتالي فهناك تناقض بين الاقوال والافعال وهناك ايضا حالة قلق مزمن، وخوف من الأخر، وخشية من عدم ارضاء جميع الانتماءات بكميات متقاربة من الولاء . واخيرا فان الاستنفار والاستفزاز تجعل الشخصية العراقية على حافة الانفجار في أي لحظة نتيجة حالات التعبئة المزمنة. لقد اجمع الوردي والطاهر والسامرائي على ان ميكانيزمات العنف تتولد من القيم البدوية التي ظلت تزحف على قيم المدينة وتحد من مسيرة تقدمها.

ان قيم الغزو ظلت مغروسة في نفوس الناس حتى بعد سكنهم في المدينة، ولقد ظلت بين الحين والاخر تطفوا على السطح في المجتمع العراقي. وكانت الطامة الكبرى حينما تمكنت البداوة من ان تستولي على سدة الحكم في العراق عام١٩٦٣ وبذلك فان الدولة نفسها اصبحت تتبنى سياسة الاستنفار والاستفزاز التي ادت الى التعبئة. ومن ثم عسكرة الشعب في كبسولة الدولة وبالتالي ظهور العنف المستشري بين كافة الشرائح والفئات في المجتمع. هذا ملخص لاراء ثلاثة من الباحثين في علم الاجتماع الذين تناولوا موضوع الشخصية العراقية. والباحث في الوقت الذي يقدر هذه الاراء ويعتبرها على قدر كبير وواضح من المصداقية نتيجة للمشاهدات اليومية للواقع العراقي فان المشكلة في هذه الدراسات انها كانت ونتيجة لخشيتها من السلطة تقف عند حدود معينة دون النزول الى جذور المشكلات التي تم تحديدها وهذا الموقف عند اصحاب الدراسات مشروع جدا لانه كان يكلفهم حياتهم على الرغم من ان نشرها كان وكما اشرنا على حافتي حكم البداوه في العراق. ان استعراضي للدراسات الثلاث كان من اجل التعريف باراء اصحابها في الشخصية العراقية وهي اهم الدراسات التي تناولت هذا الجانب في العراق حتى الآن، وكان الغرض الاخر وهو الاهم يتلخص في دعم فكرتي في هذة الدراسة التي تدعوا إلى تبني نموذج علمي محدد يمكن ان يعتمده الدارسون من الاختصاصات المختلفة ذات الشان في موضع

الشخصية القومية في العراق مثل علوم الاجتماع والانثرويولوجيا والنفس وان كان الباحث يعتقد ان الصياغة النهائية يجب ان تخرج من بين أروقة علم الاجتماع.

الفصل الثالث

نموذج الدراسة المقترح

لنفترض ان هذا الموضوع الذي سنقوم بدراسته هو موضوعا تاريخيا ولتصميم هذا البحث التاريخي فأننا لابد من ان نقوم بالخطوات آلاتية:

أولا- تحديد موضوع البحث : فالباحث هنا مطالب بتحليل موضوع بحثه إلى عناصره فيتوجب عليه تحقيق مطلبين أساسيتين:

أ- تحديد المفاهيم المستخدمة ،أي ماذا نقصد بالشخصية مصطلحا ومفهوما علميا. ويمكننا هنا ان تستخدم تعريفا إجرائيا للشخصية العراقية على أنها ((مجموعة من السمات والخصائص التي تنعكس في مجموعة من المشاعر والسلوك في مواقف معينة لدى الإنسان الذي يعيش في الرقعة الجغرافية المحصورة بحدود العراق))ومع ذلك فلازال الأمر مبهما لان الموضوع لم يزل غير محدد لذا فان الباحث يتوجب عليه ان يهتم بتحديد السمات التي سوف يدرسها دون غيرها لانه من الصعوبة بمكان ان يقوم باحث واحد أو حتى مجموعة من الباحثين بدراسة كل سمات الشخصية العراقية فالباحث مطالب بدراسة إحدى هذه السمات أو مجموعة محددة منها مثل ((الحزن ،الفرح،روح النكته...الخ)) التي تتميز بها الشخصية العراقية دون غيرها من الشخصيات المحلية أو الوطنية القريبة منها أو البعيدة عنها تاريخيا وجغرافية وحضاريا ونفسيا واجتماعيا . وقد يقوم الباحث من جانبه بعملية تنظيمية إذ يمكن تصنيف هذه السمات إلى سمات إيجابية وسمات سلبية أو ان الباحث يقوم بنفسه بتقسيم هذه السمات على مجموعة من المشاعر النفسية أو مجموعة من السلوك والأفعال. كل هذا يحدد للباحث ما سوف يلتزم به في دراسته لهذه السمات.

ب. تحديد المجال المكاني والزماني للبحث ،وهذا تحديد آخر للبحث وفيه يقوم الباحث بتحديد المجال المكاني للدراسة والذي يرتبط به او ياتي عن طريقه تحديد نوعية الشخصيات التي سوف يقوم بدراستها أو بمعنى اكثر دقة انه مطالب بتحديد(عينة بحثه)هل تكون عينة تشمل جميع أبناء المجتمع العراقي الكبير ((على شكل مسح اجتماعي شامل))أم يتم اختيار العينة من المدن الرئيسية الثلاث ((بغداد والبصرة والموصل))أم يتم تحديد آخر عن طريق اختيار عينات من سكان المدن والحواضر. وأخرى من القرى والأرياف، أو اعتماد عينات من مجتمع الأكراد في الجبال، ومن مجتمع البدو في الصحراء، ومن مجتمع الاهوار في الجنوب ثم دراسة تأثير السمات التي تحملها هذه المجتمعات على سمات وخصائص المجتمعات المحلية الأخرى التي تقطن المدن والقصبات والبلدات المجاورة لكل من تلك التي تم الإشارة إليها .

إن جدية الدراسة ومدى رصانتها العلمية تعتمد الى حد كبير في تحديد العينات التي يجب إخضاعها للبحث والتي يجب أن تكون ممثلة للطيف العراقي بقومياته وطوائفه وأديانه وألوانه المتعددة الأخرى والتي أصبحت في الوقت الحاضر أمرا واقعا لايمكن إخفائه بل من الواجب كشف وتغيير كل عوامله والظواهر التي تنتج عنه .إن فسيفساء المجتمع العراقي الكبير سلاح ذو حدين فهي مصدر قوة كبير للعراق في تجاوز محنه والانطلاق في ركب المجتمعات الإنسانية، على شرط دراسة ألوان وأشكال هذه الفسيفساء من اجل دمجها في نسيج الوحدة الوطنية، أما وجهها الآخر فهو مصدر ضعف ووهن لهذا النسيج إذا ما ضلت تلك الأشكال والألوان تخضع لدراسات خارجية غير موضوعية تهدف إلى استخدامها في تفتيت الوحدة الوطنية في العراق من اجل تحقيق غاياتها المحددة. وبقدر ما يكون الباحث مطالب بتحديد المجال المكاني واختيار عينات بحثه فانه مطالب أيضا بتحديد المدة التاريخية التي سوف يدرسها في هذه الشخصية سواء اعتمد فيها على العينة أو الوثائق والسجلات المتاحة .وتجدر الإشارة هنا إلى إن عينة البحث وشموليته والمدة التاريخية المقترحة تتحدد في ضوء الإمكانات المادية المتاحة والزمن المحدد لأجراء الدراسة .

ثانيا- مسح التراث لتعرف سمات أو بعض سمات الشخصية العراقية : فالباحث يتوجب عليه أن يرجع إلى بعض الكتب الأدبية التي تصور الإنسان العراقي في مدد زمنية محددة (رواية،قصة قصيرة)في العراق والتي تناولت المجتمع العراقي ،كذلك دراسة الأساطير والحكايات الشعبية الموروثة في المدة المظلمة التي امتدت منذ عام ١٢٥٨م وما تلاها من تعرض العراق للغزو الأجنبي المباشر أو الحكم المحلي المرتبط به وحتى عام ١٩٥٨م .إن دراسة السبعة قرون هذه من تاريخ العراق سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا لابد وان ينتج عنه مجموعة من الحقائق الموضوعية التي أثرت في تركيبة المجتمع العراقي الفكرية ومن ثم تأثيرها المباشر وغير المباشر في مجمل الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية .

إن دراسة هذا التاريخ الطويل ربما يفيدنا في استنتاج وتحديد السمات التي تشترك فيها الشخصية العراقية، أي ما يجمع بين ابن زاخو في أقصى الشمال وابن

الفاو في أقصى الجنوب وبين ابن الرطبة في أقصى الغرب وابن خانقين أقصى الشرق من سمات وصفات وخصائص محددة وواضحة يمكن أن يلاحظها الباحث بصورة واضحة بحيث ان هذه الصفات المشتركة التي توجد عند العينات التي تم اختيارها في هذه المناطق التي تقع في أبعاد العراق الأربعة، والتي تشترك مع نفس الصفات التي يتم استنتاجها من عينات عشوائية أو نظامية يمكن تحديدها من مختلف مناطق العراق في المدن والبلدات والقصبات والقرى والأرياف ،إن هذه الصفات والخصائص يمكن أن تمثل جميع هذه العينات التي أشرنا إليها وان تعتبر قاسما مشتركا لجميع المجتمعات المحلية في العراق، وان يلاحظ الباحث من خلالها إنها صفات محلية تخص المجتمع العراقي الكبير دون غيره من المجتمعات المحلية المجاورة له أو البعيدة عنه ويستطيع الباحث أن يقول إن هذه الصفات والخصائص مع مالها من تقارب وتشابك مع صفات توجد في الجزيرة العربية والخليج العربي وبلاد الشام وإيران وتركيا إلا أنها ومع كل ذلك تبدو اكثر خصوصية للإنسان العراقي دون غيره من جميع المجتمعات المحيطة بالعراق جغرافيا التي تم الإشارة إليها التي يشترك العراق بكل قومياته وطوائفه وأطيافه معها بعوامل مشتركة نتيجة عوامل التاريخ والجغرافية وتلاقح الحضارات أو صراعها .

كذلك فقد يلجا الباحث أو فريق البحث إلى صور التعبير الفني كالشعر واللوحات الفنية إذ يمكنه من ملاحظة بعض القيم والسمات التي حاول الشاعر أو الفنان أن يترجمها في عمله الفني (الشاعر مثلا في الغزل،الرثاء ،المديح،الهجاء...الخ)وان الباحث مطالب أيضا بالرجوع إلى الوثائق القديمة والخطب السياسية والمحاضرات والمذكرات الخاصة بالقادة أو حتى العامة ،ومن غير شك في أن في كل هذه المصادر العديد من البيانات التي تعكس الكثير عن الشخصية العراقية في السجلات الإحصائية المتداولة والخاصة بالزواج والطلاق والمواليد والتعليم والعمل والهجرة .وقد يقوم الباحث بتحليل مضمون الصحف والمجلات التي تتناول المجتمع العراقي عامة أو تلك التي تعكس مشكلاته أو المواقف التي تؤدي إلى إظهار سمات خاصة معينة.ولاشك في أن الباحث سوف يفيد في قراءة وتحليل الكتب المتخصصة التي تناولت التاريخ العراقي (كما أشرنا آنفا)، بعض الدراسات التي تناولت تلك المدة بالعرض والتحليل .كل هذا قد يساعد فريق البحث في الوقوف على العوامل والقوى الخفية التي شكلت بعض سمات الشخصية العراقية ،وكثيرا ما تثير هذه الدراسات بعض التساؤلات او الفروض التي يتبناها الباحث لتفسير الظواهر التي يقوم بدراستها .كذلك قد يلجا الباحث الى دراسة الشعر الشعبي (البدوي والريفي)ودراسة الأغنية العراقية (الجنوبية والفراتية والبغدادية والبدوية والكردية والمقام العراقي)كذلك دراسة الأمثال والحكم التي تنتشر بصورة اكبر وعادات الأفراح و (مراسيم الزواج والمآتم)قضايا الفصل العشائري وعادات الثار وغسل العار والخلط بين التعاليم الدينية والأحكام القبلية والفهم الخاطئ للدين وقيم الفخار والعار في المجتمع العراقي ووسائل الضبط غير الرسمية في هذا المجتمع،كل هذه المفردات الطويلة ربما تكون ضرورية ولا مناص منها للباحث الذي يبغي أن يستنتج سمات وصفات الشخصية.

ثالثا-الفرض العلمي أو التساؤلات العلمية: فالبحث التاريخي قد يكون بحثا استطلاعيا بمعنى انه لا يختبر فروضا معينة ،ولكن يكتفي فقط بإثارة بعض التساؤلات العلمية .وقد يتبنى الباحث بعض الفروض التي من خلالها يحاول تفسير اصل ووظيفة بعض السمات وعلاقتها بسمات أخرى أو قد يكشف عن اثر بعض السمات في توجيه الفعل الاجتماعي .كل ذلك متروك للباحث حسب طبيعة دراسته وحسب نوعية الموضوع الذي يعالجه.

رابعا- الطريقة أو الأداة : فطالما كان نموذج البحث الذي اختاره الباحث هو النموذج التاريخي فان افضل الطرق المناسبة لهذا النموذج التي تتلاءم مع موضوع الشخصية هي طريقة تحليل المضمون Content Analysisوطريقة البيانات الجاهزة ،أما عن الأداة المناسبة فهي تتمثل في الوثائق والمقابلات الشخصية.

خامسا: مستلزمات ضرورية : إذ يجب على الباحث أن يلتزم بالدقة وعدم التحيز (عدم اعتناق أفكار مسبقة)ويجب أن يخضعها للتغير الداخلي والخارجي فمن المعروف إن الكثير من الكتب التاريخية قد كتبت في عصور مختلفة تأثر بعضها بتوجهات أيديولوجية معينة وانعكس ذلك على فكر المؤرخ وتحليله ولذلك يجب ان يكون الباحث على دراية بظروف كل عصر ونوع نظام الحكم والأيديولوجية السائدة في تلك المدة.

سادسا- مستويات التحليل والتفسير : فعلى الرغم من اعتماد الباحث هنا على بعض البيانات الإحصائية عن الشخصية العراقية يتخذ التحليل هنا الطابع الكيفي لذلك يجب أن يدعم الباحث تحليله وتفسيره بالأدلة التاريخية التي تثبت وجهة نظره أو تثبت الفرض العلمي الذي يحاول إثباته .والتحليل هنا يجب أن يبين بوضوح الظروف الاجتماعية أو السياسية التي أدت إلى ظهور سمة معينة وينبغي أن تكون العبارات التفسيرية مدعمة بالمادة العلمية حتى يمكن الإفادة منها في الحكم على الظاهرة محل التفسير .واخيرا فان

الباحث مطالب بعرض كل ذلك في التقرير النهائي الذي يشتمل على خطوات البحث ومنهجيته والنتائج التي توصل إليها الباحث ،واخيرا فلابد من الإشارة إلى تحديد مدة لدراسة الشخصية العراقية فليس من المعقول أن تدرس هذه الشخصية من البابليين وحتى الوقت الحاضر فالدراسة يمكن أن تتضمن جيلين أو ثلاثة ويكون التركيز على الوقت الحاضر .

سابعا- فريق العمل : ومن خلال ما أشرنا أليه آنفا يتضح بان الموضوع ذو وجوه عديدة ولايمكن ملامسة جانب منه دون الجوانب الأخرى فالوعاء العام هو التاريخ وكل مختص ينظر من منظاره الخاص ويأخذ العينات التي يرىانها سوف تعطيه نتاجا أكثر دقة وموضوعية.إذن لابد أن يضم فريق العمل مختصين في علم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا الثقافية، وعلم النفس الاجتماعي، والاقتصاد ،والتاريخ ،وعلم اجتماع، الأدب، وفي الفنون، والآداب، والأيدولوجيا ،والسياسةوالقانون. ويعمل هؤلاء جميعا تحت خطة عمل موحدة موضوعة بدقة وعناية فائقة تعتمد الأطر المنهجية والنظرية الملائمة لمثل هذه الدراسات، وان تتوفر لفريق العمل هذا كافة الإمكانات والقدرات التي تسهل عمله، وان يترك أفراده دون أية ضغوط من أي نوع كان ومن أية جهة كانت.

ثامناً - في ظل الظروف المعقدة التي يعيشها قطرنا ربما توضع الكثير من العقبات في طريق هذا الفريق لكنني أظن إن الإمكانية سوف تكون افضل في ظل حكومة مؤسساتية قوية وسوف يكون للتعداد العام للسكان إذا ما جرى في عام ٢٠٠٧م كما هي العادة في كل عشرة أعوام دوركبيرفي هذا الموضوع إذا ما استطاع المخططون أن يضمنوا استمارة العد بعض الأسئلة والاستفسارات التي ستوضح الرأي العام لمختلف فئات وشرائح المجتمع كما ستعطي البيانات المتعلقة بحجم الأسرة والفئات العمرية والمستوى التعليمي لأفرادها ونوع العمل ونسبة البطالة واعداد المعاقين فرصا عظيمة لدراسة الشخصية العراقية بالإضافة إلى معرفة التركيبة السكانية والثقافة العامة والثقافات الفرعية والأديان واللغات والعادات والأفكار والقيم والتقاليدالتي سوف توفر بمجموعهاالماده العلمية الموضوعية لهذه الدراسة .

النتائج

١- ان النموذج الذي جاءت به الدراسة هو عبارة عن اطار تصوري افترضه الباحث وهو ليس نموذجا مغلقا ، بل يمكن تطويره من خلال روئ وتصورات يمكن ان يقدمها باحثون اخرون في دراسات مماثلة.

٢- ان دراسة الشخصية العراقية امر ضروري وحيوي خصوصا في المرحلة الراهنة من اجل تشخيص العوامل التي ادت ولازالت تؤدي الى تفتيت الوحدة الوطنية في العراق وما يتعرض له المجتمع العراقي من عنف وفوضى وتوتر وانعدام للامن والاستقرار .

٣- على الرغم من وجود مجموعة من الدراسات التي تناولت موضوع الشخصية العراقية كان اشهرها ثلاثة حرص اصحابها على الطرح الموضوعي المنهجي الاانها ظلت غير مكتملة لعدة اسباب كان اهمها:-

ا- الخوف والخشية من قسوة الانظمة الحاكمة في العراق.الأمر الذي لم يمنح لهم البيئة المناسبة لطرح آرائهم بحريةكاملةبالاضافه إلى عدم وجود الوعي الاجتماعي الذي يمكن أن يتقبل الآراءالصريحةبرحابة صدر.

ب- ضعف الوعي الاجتماعي العام وسيطرة الثقافة التقليدية التي تعيق المجتمع عن فهم حالات التحليل والنقد اذ يعتبرها المجتمع مسيئة وغير مقبولة على الإطلاق على الرغم من اعترافه بوجودها في بعض الاحيان ، الامر الذي لايهييء للباحثين الارضية المناسبة لطرح جميع ارائهم بصراحه.

ج-انعدام الرعاية العلمية التي تسهل تمويل فريق بحثي متكامل يضم اختصاصات مختلفة ذات شان بموضوع الشخصية العراقية ، الامر الذي اضطر الباحثين الىالقيام بدراستهم بصورة منفردة.

٤- اقتصار دراسة الشخصية العراقية على علم الاجتماع دون مشاركة الاختصاصات الاخرى ،الامر الذي جعل هذه الدراسات تتمحور في الرؤى التي يقدمها المختصون في علم الاجتماع في العراق دون سواهم.

المقترحات والتوصيات

واخيرا فان الباحث يقدم مجموعة من المقترحات والتوصيات التي يرى ضرورة اتباعها من الباحثين في موضوع الشخصية العراقيةوهي كالاتي:-

١- اعتماد طريقة عمل ضمن فريق متكامل يضم على الاقل اختصاصات علم الاجتماع والانثروبولوجيا وعلم النفس والقانون بدلا من العمل البحثي المنفرد .

٢- اعتماد الموضوعية والدقة العلمية واستخدام الاطر النظرية والمنهجية الملائمة،مع ضرورة اتصاف الباحثين بمزايا الشجاعة والجراة في التشخيص والتحليل بالاضافة الى اتصافهم بالنزاهة والصدق والتجرد والتخلص من الافكار المسبقة.

٣- قيام الحكومة بواجبها الذي يتضمن تسهيل مهمة الفرق البحثية وتخصيص التمويل الملائم مع الايعاز للمؤسسات التي لها علاقة بموضوع البحث بضرورة التعاون التام مع فريق البحث.

٤- لابد من تحديد المجالين الزماني والمكاني بدقة واختيار طريقة البحث المناسب، سواء كانت عن

طريق المسح الاجتماعي الشامل او اتباع طريقة العينات.

٥- عقد ورش عمل وندوات ومؤتمرات علمية، يناقش الحاضرون خلالها اوراق عمل وبحوث يقدمها الباحثون الذين يجب انهم قد كلفوا بدراسة بعض القضايا التي تشكل اجزاء من كيان عام موضوعه الشخصية العراقية . ان هذه اللقاءات بين المختصين والمهتمين سوف تصحح الكثير من الاخطاء وتقوم سير الدراسات كما أنها سوف تساهم باختيار مدى صلاحية فروض علمية ورفض فروض اخرى .

٦-عدم طرح الآراء جزافا ومن غير ذوي الاختصاصات المتعلقة بهذا الموضوع،الأمر الذي يجعل منه ساحة للمتبارين على صفحات الصحف و المجلات مما قد يسيءالى الموضوع ويدخله في متاهات جديدة نحن في غنى عنها.

الهوامش

(١) إبراهيم مد كور وآخرون ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٥ ، ص ٣٣٤ .
(٢) دينكن ميشيل ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة إحسان الحسن ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠، ص٣٥٧.
(٣) أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، ١٩٧٧ ، ص ٣١١ .
(٤) أحمد زكي بدوي ، نفس المصدر، ص ٢٧٩ .
(٥) إحسان محمد الحسن ، موسوعة علم الاجتماع ، الدار العربية للموسوعات ، ط١ ، بيروت، ١٩٩٩ ، ص٢٨٠.
(٦) قيس ألنوري ، الحضارة والشخصية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العراق ، ١٩٨١ ، ص ٤٤-٤٥.
(٧) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الرابع ، مطبعة الشعب ، بغداد، ١٩٦٩ ، ص ٣٠٠-٣٠٢ .

ABSTRACT

This study, through which the researcher tries to formulate a hypothetical sample to the Iraqi character, consists of three main parts in addition to the results and the recommendations. Part one is under the title" the main frame" and is of two branches: first, the research theme, its objectives, importance and the elements that led the researcher to choose this research, second, a reference to the necessary concepts and the terms. Part two, under the title" most important studies dealing with the Iraqi character" has three fields of study: first is the "dualism" of the personality referred to by ail al-wardi ,the second is the "warry and concentrated ness" byAbdul-jalil al-tahir, the third is "unstability "for M..munaf .this part is areal calm read to these studies and to the authors in this respect. Part three includes the core of the subject under study, that is, the hypothetical sample is formed to be scientific attitude reliable to the researchers and those who are concerned with this subject of personality. it presents that although the previous studies are reliable and the writers of these studies are so qualified in diagnosis and interpretation but these studies are results of subjective and objective circumstances. They didn't totally follow the scientific basics as related to the research requirements that has produce valid results, what is more important is that the research samples of these studies were restricted to Baghdad society with out any consideration for other places in iraq, and even for the groups of the society structure of iraq such is rural areas, deserts, marshlands and tow sin addition to the mountains area in the north. The research hopes this study can provide the basic on which any researcher of the Iraqi character can depend on the Future .

(٨) علي الوردي ، ، نفس المصدر، ص٣٠٤ .
(٩) علي الوردي ، مقالة في جريدة القادسية ، بغداد ، العدد ١٨٦٨ ، ١٩٨٦/٦/٢٩ .
(١٠)معن خليل عمر ، رواد علم الاجتماع في العراق ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص ٢٧ .
(١١)علي الوردي ، مقالة في جريدة القادسية ،المصدر السابق.
(١٢)عبد الجليل الطاهر ،القوقعية والقلق في الشخصية العراقية،مجلة المثقف العربي،العدد١١،وزارة الاعلام،العراق،١٩٦٦ ،ص ٣٥-٣٧ .
(١٣)عبد الجليل الطاهر ،نفس المصدر ، ص ٣٩ .
(١٤)عبد الجليل الطاهر ، نفس المصدر، ص ٤٠ .
(١٥)عبد الجليل الطاهر ، نفس المصدر ، ص ٤٢-٤٣ .
(١٦)عبد الجليل الطاهر ، نفس المصدر ، ص ٤٤ .
(١٧)عبد الجليل الطاهر ، نفس المصدر، ص ٤١-٤٢ .
(١٨)متعب السامرائي ، الشخصية العراقية : متبنيات ومنطلقات ، مجلة النبأ، السنة العاشرة ، العدد ٧٤، بغداد ، كانون الثاني ٢٠٠٥ ، ص ٢٣ .
(١٩)متعب مناف، نفس المصدر، ص ٢٤ .
(٢٠)متعب مناف، نفس المصدر ، ص ٢٤ .
(٢١) متعب مناف، نفس المصدر، ص ٢٤ .
(٢٢) متعب مناف ، نفس المصدر ، ص ٢٥ .
(٢٣) متعب مناف، التهميش الاجتماعي ، مجلة الثقافة الجديدة ، العدد ٣١٢ ، نيسان ٢٠٠٤ ، ص ٢٠-٢٢.
(٢٤) متعب مناف، الشخصية العراقية : متبينات ومنطلقات ، مصدر سابق، ص ٢٥ .
(٢٥) متعب مناف، نفس المصدر ، ص ٢٦ .
(٢٦) متعب مناف ، نفس المصدر ، ص ٢٦-٢٧ .
(٢٧) متعب مناف، نفس المصدر، ص ٢٧ .
(٢٨) متعب مناف ، نفس المصدر، ص ٢٨ .
(٢٩) متعب مناف ، نفس المصدر، ص ٢٨ .
(٣٠) متعب مناف ، نفس المصدر، ص ٢٩ .
(٣١) متعب مناف ، نفس المصدر، ص ٢٩ .
(٣٢) متعب مناف، نفس المصدر ، ص ٣٠ .

المصادر

(١) إبراهيم مد كور وآخرون ، معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٥.
(٢) أحمد زكي بدوي ، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية ، بيروت ، ١٩٧٧.
(٣) إحسان محمد الحسن ، موسوعة علم الاجتماع ، الدار العربية للموسوعات ، ط١ ، بيروت، ١٩٩٩.
(٤) دينكن ميشيل ، معجم علم الاجتماع ، ترجمة إحسان الحسن ، دار الرشيد ، بغداد ، ١٩٨٠.
(٥) قيس ألنوري ، الحضارة والشخصية ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، العراق ، ١٩٨١.
(٦) علي الوردي ، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث ، الجزء الرابع ، مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٦٩.
(٧) معن خليل عمر ، رواد علم الاجتماع في العراق ، بغداد ، ١٩٩٠.

المجلات والصحف

(١) عبد الجليل الطاهر ، القوقعية والقلق في الشخصية العراقية ، مجلة المثقف العربي ، العدد ١١، وزارة الأعلام ، العراق ، ١٩٦٩.
(٢) متعب مناف، الشخصية العراقية : متبينات ومنطلقات ، مجلة النبأ، السنة العاشرة ، العدد ٧٤، بغداد ، كانون الثاني ٢٠٠٥.
(٣) متعب مناف، التهميش الاجتماعي ، مجلة الثقافة الجديدة ، العدد ٣١٢ ، نيسان ٢٠٠٤.
(٤) علي الوردي ، جريدة القادسية ، بغداد ، العدد ١٨٦٨ ، ١٩٨٦/٦/٢٩.